

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
ISSN: 2709-0302 (online)

مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية: حوار نبي الله إبراهيم في القرآن الكريم نموذجاً (دراسة استقرائية تحليلية تطبيقية)(*)

د/ سعيد بن أحمد صالح فرج
أستاذ أصول الفقه المشارك
جامعة الملك خالد

*) تاريخ تسليم البحث 1/11/2023 تاريخ قبوله للنشر 26/11/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية: حوار نبي الله إبراهيم في القرآن الكريم نموذجاً (دراسة استقرائية تحليلية تطبيقية)

د/ سعيد بن أحمد صالح فرج
أستاذ أصول الفقه المشارك
جامعة الملك خالد

الملخص

يهدف هذا البحث لبيان المقاصد الشرعية للحوار في الشريعة الإسلامية من خلال النصوص الشرعية دون تحميل للنصوص ما لا تحتمل أو إغفال ما حقه البيان، وتكمن المشكلة الرئيسة في هذا البحث في ماهية المقاصد الشرعية التي يحققها الحوار مع الغير، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي التطبيقي، حيث عمد إلى النصوص الشرعية واستنبط منها المقاصد الشرعية واستشهد بالدلائل من النصوص وأقوال العلماء ثم طبق هذه المقاصد في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم مع أبيه وابنه وقومه والنمرود، وقد توصل لعدة نتائج من أهمها: أن أبرز مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية هي: الوصول إلى الحق، وإقامة الحجة على الناس، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ودفع الباطل، والتعايش وعدم التصادم مع الآخر، والتوصل لمكاسب تخدم الدعوة والدين والمسلم، وأن مقاصد الشريعة في الحوار ظهرت في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وابنه وقومه والنمرود.

الكلمات المفتاحية: الحوار، المقاصد، الحق، الدعوة، التعايش، المُحاور.

The objectives of dialogue in Islamic law: Dialogue of the Prophet Abraham in the Holy Qur’an as an example (Inductive, analytical, applied study)

Saeed Ahmed Saleh Farag
Associate professor of jurisprudence
at King Khalid University

Abstract:

This research aims to clarify the objectives of dialogue in Sharia through texts without burdening the texts with what is intolerable or ignoring what deserves to be explained, The main problem is what are the legal objectives achieved by dialogue with others. The researcher used the applied inductive and analytical approach, He derived the legal objectives from the legal texts and cited the sayings of the scholars, then applied these objectives in the dialogue of the Prophet of God Ebrahim, Peace be upon him, in the Holy Qur’an with his father, son, his people, and Namrod, He reached several conclusions: The most prominent goals of dialogue in Islamic law are: reaching the truth, establishing the argument for people, calling to God Almighty, repelling falsehood, coexistence and not clashing with others, and achieving gains that serve the call, religion, and the Muslim, these purposes in dialogue appeared in the dialogue of the Prophet of God, Ebrahim, peace be upon him, with his father, his son, his people, and Namrod.

Keywords: dialogue, purposes, truth, advocacy, coexistence, dialogues.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أشياء كثيرة من أهمها:

- أن الحوار يمثل وسيلة التعايش بين الأمم وبغيره يتحول العالم لغابة يأكل القوي فيها الضعيف.
- أننا نستطيع بالحوار تحقيق كثير من مقاصد الشريعة فنحفظ فيه الدين والنفس والعقل والمال والنسل.
- أن ممارسة الحوار كان نهج النبي ﷺ لإقناع الآخر واستمالته وإحقاق الحق ودفع الباطل.
- أن الحوار يعد الوسيلة الأرقى للتواصل الإنساني للتعاون والتكامل.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يأتي:

- بيان مصطلح الحوار في الشريعة الإسلامية.
- بيان مقاصد الشريعة في الحوار من خلال النصوص الشرعية.
- إبراز الصفات الأساسية للمحاور في القضايا الشرعية.
- تطبيق مقاصد الشريعة في الحوار على حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة البحث الرئيسة في الإجابة عن ما مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية؟ ويمكن أن نصوغ أسئلة البحث بما يأتي:

- ما تعريف الحوار في الشريعة الإسلامية؟
- ما مقاصد الشريعة في الحوار من خلال النصوص الشرعية؟
- ما إبراز الصفات الأساسية للمحاور في القضايا الشرعية؟
- هل تم تطبيق مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم من خلال حوار نبي الله إبراهيم؟ وكيف؟

منهجية البحث:

لحل مشكلة البحث اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي التطبيقي وذلك باستقراء النصوص الشرعية ثم استنباط المقاصد الشرعية وفق منهج العلماء في استخراج المقاصد الشرعية ثم تطبيق هذه المقاصد على حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات السابقة تشترك مع الموضوع وسأذكر هنا أهمها وألصقها بالبحث، فمنها:

الدراسة الأولى: الحوار في الإسلام مقاصده وأسسه وتطبيقاته، د. ناصر محمد السيد إسماعيل، مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، القاهرة، ٢٠٢٢م، ذكر الباحث بعد المقدمات النظرية مقاصد الحوار في المبحث الثاني ولكنه أهمل بعض المقاصد التي ذكرت في هذا البحث مثل: الوصول إلى الحق، والتعايش مع الآخر وعدم الصدام معه، والتوصل لمكاسب تخدم الدعوة والدين والمسلم، وأدخل ما ليس في المقاصد –من وجهة نظري– فيها.

الدراسة الثانية: الحوار المجتمعي في ضوء مقاصد الشريعة، د. مأمون حمد آدم حامد، مجلة جامعة غرب كردفان للعلوم والإنسانيات، جامعة غرب كردفان، ٢٠١٦م، ذكر الباحث ثلاثة أصول أو مقاصد للحوار وهي العلم والأهلية والخلق الفاضل، وتكلم عن تحقيق أهلية الحوار، والإخلاص لله تعالى، وهو يخالف هذا البحث في المقاصد المستنبطة فلم يذكر أي مقصد منها.

الدراسة الثالثة: مقاصد الحوار مع غير المسلم ووسائل تحقيقها، د. عمر بن صالح بن عمر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، ٢٠١١م، وظاهر من العنوان أن العلاقة بين الدراستين علاقة عموم وخصوص فهذا البحث ركز على المقاصد مع غير المسلم وذكر منها مقصد بيان الحق، والتعارف، والتعاون، والتعايش السلمي، والبحث الذي بين أيدينا يتكلم عن المقاصد في الحوار بشكل عام لذلك ذكر هنا ما لم يذكر في هذه الدراسة.

الدراسة الرابعة: مقاصد الحوار النبوي وأثره في تنمية ونشر ثقافة التسامح الإنساني، د. أحمد يوسف الدرديري، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ٢٠١٣م، حصر الباحث مقاصد الحوار في معالجة الأزمات ونشر قيم التسامح، ولا شك في اختلافه تماما عن هذا البحث.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وأهدافه ومشكلته وأسئلته والدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني: مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية والقيم الأساسية في المحاور.

المبحث الثالث: مقاصد الحوار في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

مقدمة:

بدأ الحوار مذ بداية الخلقية فقد تحاور الله سبحانه وتعالى مع الملائكة، حيث قال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، وتحاور سبحانه وتعالى مع إبليس فقال: ﴿**قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣)... إلى آخر الآيات**﴾ [سورة الحجر:٣٢-٤٢]، وتحاور أول أولاد آدم هابيل وقابيل مع بعضهم، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ... إلى آخر الآيات**﴾ [سورة المائدة: ٢٧-٣٠]، وتحاور كل نبي مع قومه، وقد ذم الله الكفار بإعراضهم عن الحوار، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾ [سورة فصلت: ٥]، وقال: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [سورة المائدة: ١٠٤]، وبالمقابل رسم الشارع للمسلمين المنهج الحق في الدعوة إليه، وذلك في خطابه مع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، وهذا ما طبقه النبي ﷺ فقد حاور هرقل، وكسرى، والمقوقس، والنجاشي، وعقد مع اليهود وثيقة مشهورة باسم صحيفة المدينة المنورة، وكذا تعامل مع نصارى نجران وصالحهم، فالحوار قيمة من القيم الإسلامية المهمة والتي يعتنقها كل مقتنع بالحقيقة وساع لنشرها بين الناس.

ولما كان الحوار ركيزة من الركائز السلوكية للمسلم، ومنهج مهم في الدعوة إلى الله، وسلوك لأنبياء الله ومرسليه، كان لهذه الركيزة مقاصد يحققها وقيم يتخلق بها من يقوم بالحوار، فينبغي لمن تصدى للحوار وسلك طريق الأنبياء جعل مقاصد الحوار نصب عينيه، وتحقق بقيمه وتمثلها، وهذا البحث يجلي هذه المقاصد، ويصف هذه القيم، ثم سيكون في آخر البحث تطبيق لحوار نبي الله إبراهيم عليه السلام لهذه المقاصد، وقد اقتصرت على الحوار الوارد في القرآن الكريم، إذ كان نبي الله إبراهيم أكثر الأنبياء حوارا، ولا عجب فقد كان صاحب حجة من ربه تعالى ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، وقد تعددت حواراته فقد تحاور عليه السلام مع النمرود، وتحاور مع أبيه وقومه، وتحاور مع الملائكة، وتحاور مع ابنه، كما سيأتي معنا.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: التعريف بالحوار.

الحوار في اللغة:

الحوار من الحَوْر وهو مصدر حار يحور حَوْراً، إذا رجع، قال أبو عبيدة في قوله جلّ ثناؤه: ﴿**إنّه ظَنَّ أنْ لن يَحورَ**﴾ [سورة الانشقاق: ١٤]، أي لن يُحشر، ومنه حاوره إذا راجعه في الكلام وجاوبه(١)، قال تعالى: ﴿**قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ**﴾ [سورة الكهف: ٣٧]، أي يراجعه في الكلام ويجاوبه(٢)، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام(٣)، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(٤).

قال ابن فارس: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً. فأما الأول فالحَوَر: شدّةُ بياض العينِ في شدّةِ سوادِها، وأمّا الثاني (الرجوع)، فيقال حارَ، إذا رجَع، وأما الثالث (المِحْور) الخشبةُ التي تدور فيها المحَالة، ويقال حَوّرْتُ الخُبْزَةَ تحويراً، إذا هيّأتَها وأدَرْتَها لتضعَها في المِلَّة(٥).

وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الأول: في سورة الكهف في قصة أصحاب الجنة في موضعين: قال تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ [سورة الكهف: ٣٤].

والثاني: في نفس السورة ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾ [سورة الكهف: ٣٧].

والثالث: في سورة المجادلة قال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [سورة المجادلة: ١].

وفي هذه المواضع الثلاثة جاء فيها الحوار بمعنى المراجعة في الكلام، وتداول الكلام بين طرفين، والسعي لرد كلام الآخر وبيان خطأه، والله أعلم.

أما في السنة فقد ورد الحوار في عدة أحاديث منها قول النبي ﷺ: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك **إلا حار عليه**"(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤/ ٢١٨).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠٣).

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (٢٦٧/١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥٠٦/٣)، والمحيط في اللغة (٢٤٩/١).

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٥٠٢/٣)، لسان العرب (٢١٧/٤).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٦/٢) بتصرف يسير.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩/١) برقم (١١٢).

وحكى النووي في معنى حار عليه: "وهو معنى رجعت عليه أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد.."[1].

الحوار في الاصطلاح.

والحوار في الاصطلاح عُرِّف بعدة تعريفات:

- منها: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، مع وحدة الموضوع والهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر[2].
- ومنها: حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، بهدف الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، وبطريقة علمية إقناعية، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية[3].
- ومنها: حديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بطريقة متكافئة، ولا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[4].
- ومنها: حديث بين طرفين أو أطراف اختلفت نظرتهما حول موضوع محدد، يقصدان معرفة الحقيقة، أو التوصل إلى اتفاق[5].

وبالنظر لهذه التعريفات نرى أن الجامع بين هذه التعريفات: أن الحوار لقاء بين طرفين مختلفين في موضوع معين يتيح كل طرف منهما لخصمه الكلام ليبدي رأيه بتكافؤ وله آداب وشروط وموانع.

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد الشرعية.

المقاصد في اللغة:

المقاصد جمع مقصد، من قصد، ويطلق في اللغة على الاعتدال والتوسط قال تعالى: ﴿**وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ [سورة لقمان: ١٩]، أي توسط فيه، وقال أيضًا: ﴿**وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ**﴾ [سورة فاطر: ٣٢]، أي متوسط في العمل، ويطلق أيضًا على التوجه إلى الشيء، يقال قصد الشيء أي نحا نحوه، ويقال للشيء قاصدًا للتسهيل والتقريب، قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَّٱتَّبَعُوكَ**﴾ [سورة التوبة: ٤٢]، أي سفرا قريبًا سهلًا[6].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٥٠).

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوي (٢٠٦).

(٣) ينظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية للمغامسي (٣٢).

(٤) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة للزمزمي (٢٢).

(٥) ينظر: الحوار والتعايش الإنساني في ضوء الخطاب الإنساني، مطيع الحربي (٤٧٠).

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٢٤)، ولسان العرب (٣/٣٥٣)، والقاموس المحيط (٣١٠).

المقاصد في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف المقاصد الشرعية أبرزها تعريفان:

١- تعريف ابن عاشور بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"(١)، وقال في موضع آخر: "المقاصد هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساع شتى، أو تحمل على السعي إليها امتثالًا"(٢).

٢- وتعريف نور الدين الخادمي هي: "المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها؛ سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمت إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"(٣).

وهذان التعريفان متقاربان في المعنى ولعل الأقرب هو تعريف الخادمي لأن التعريف الأول للشاطبي هو تعريف للمقاصد العامة، بينما الخادمي عرفها بشمولها، وباعتبارها للدارين، والله أعلم.

المبحث الثاني: مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية، والقيم الأساسية في المحاور.

حث الإسلام على الحوار قال تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، ولم يكن هذا الأمر عبثاً، بل كان شأن كل أوامر الشارع الحكيم، فهي تهدف لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية، عرفها من عرف، وجهلها من جهل، وفي هذا المحور سأحاول استجلاء أبرز مقاصد الشريعة في الحوار، ثم سأذكر أبرز القيم الأساسية التي يجب أن يتحلى بها المحاور لتحقيق هذه المقاصد في حواراته، فمن أبرز مقاصد الشريعة في الحوار:

المطلب الأول: مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية.

أولاً: الوصول إلى الحق.

الوصول إلى الحق غاية الحوار ومقصده، فكل طرف من أطراف الحوار يعرض ما يعتقده وما يظنه حقاً، ويدور الكلام بين المتحاورين والطرفين ليقنع كل منهما الآخر، فإن تجرد الطرفان وظهرت حجة أحدهما فقد وصلا إلى الحق.

---

(١) مقاصد الشريعة لابن عاشور (١٦٥/٣).

(٢) مقاصد الشريعة لابن عاشور (٤٠٢/٣).

(٣) علم المقاصد الشرعية للخادمي (ص١٧).

ولا بد للســاعي إلى الحق أن يوطن نفســه على التمســك به حال ظهوره، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّــمَاوَاتِ والأرض قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [سورة سبأ: ٢٤]، فقبل الحوار لا بد من بيان أن طرفا الحوار يتساويان في قربهم من الحق، فالحق مع صاحب الحجة، وقبل عرض الحجة لا تمايز، وهذا ما جاء عند الدعوة للحوار: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَــلالٍ مُبِينٍ**﴾ ثم يأتي الالتزام بمسـؤولية الاختيار، فاختيار كل طرف من الأطراف بما يعتقده ســيكون ربحا له أو جناية، قال تعالى: ﴿**قُلْ لا تُسْــأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ولا نُسْــأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [ســورة ســبأ: ٢٥]، وعبَّر بالإجرام ليبين خطورة الاختيار في هذه القضــية المهمة فالانحراف عن التوحيد جريمة في حق الله تعالى وفي حق العبد وفي حق المجتمع.

وتبين لنا آية الزخرف قمة الامتثال لنتيجة الحوار، وهذا هو مقصــد الحوار البحث عن الحق والامتثال له، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [سورة الزخرف:٨١]، فعلى الرغم من خطورة قضية التوحيد، ويقين المسلم التام بها، وجريمة من يدعو لله الولد، ولكن لابد من التصريح بالتزام الحق عند ظهور أدلته، حتى يمتثل الطرف الآخر، ثم بالحجة والبرهان يستطيع المحاور أن يقنع خصمه.

والتصــريح بامتثال نتيجة الحوار، وأن الحوار شــرع للبحث عن الحق، يبين لنا أن الوصــول إلى الحق مقصــد مهم من مقاصــد الحوار، ويجعل الطرف الآخر يقتنع بأهمية الحوار وأن هذا الحوار ليس لاســتعراض القوى اللغوية والدلالية...إلخ، بل هو سعي حثيث للنجاة، ولعل هذا التصريح من المحاور يصيب خصمه بالعدوى فيتجرد ويسعى في نفسه للوصول للحق المنشود.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسـط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصـراني -فضـلا عن الرافضـي- قولا فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق"(١).

وقال الذهبي: "وإنما وضعت المناظرة لكشـف الحق وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف، فإن داخلها زهو من الأكمل وانكسار من الأصغر فذاك دأب النفوس الزكية في بعض الأحيان غفلة عن الله فما الظن بالنفوس الشريرة المنطفية"(٢).

وهذا السلوك يخالف سلوك المشركين في القضايا العقدية فهم يرفضون الحوار، لأن المبطل لا يستطيع الصــمود أمام الحق وصــاحبه ولذلك كانت حجة الكفار هي البقاء على ما وجدوا عليه الآباء والأجداد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا**

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/٣٤٢).

(٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير (١/٢٠٩) ولم أجده في كتب الذهبي التي بين يدي.

يَعْقِلُونَ شَيْئًا ولا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، وقال: **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قُلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءكم قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾** [سورة الزخرف: ٢٣-٢٤].

ثانياً: إقامة الحجة على الناس.

ومن مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية إقامة الحجة على الناس، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداًۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** [سورة الأعراف: ١٦٤]، قال السمرقندي: مَعْذِرَةً بالضم يعني: لا ندع الأمر بالمعروف حتى نكون معذورين عند الله تعالى(١).

وحوار من لا ترجى استجابته هو إعذار لله تعالى "معذرة إلى ربكم" مع عدم إغفال إمكانية الاستجابة "ولعلهم يتقون"، وقال أيضاً: **﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** [سورة النساء: ١٦٥]، وقالﷺ: **"ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين"**(٢).

فتبليغ رسالة الله إعذار لله تعالى وإقامة للحجة على عباده قال ابن كثير عند الكلام عن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام: "يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة"(٣).

ثالثًا: الدعوة إلى الله تعالى.

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أهم مقاصد الحوار بل من أهم مقاصد الشريعة وإرسال الرسل بشكل عام، فالدعوة حوار مع منكرين، وجدال مع جاحدين، وبيان لأدلة وحدانية الله تعالى، وتتبع لحجج الخصوم ودحضها، فكل هذا دعوة إلى الله تعالى، وهذا هو منهج الرسل عليهم السلام، ثم منهج الدعاة إلى الله تعالى في كل عصر وفي كل زمان قال تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [سورة يوسف: ١٠٨].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بدعوة أهل الكتاب للحوار، لتوحيد الله تعالى إنقاذًا لهم مما أصاب دينهم من تحريف وتبديل وتزييف، قال تعالى: **﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [سورة آل عمران: ٦٤].

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/١٢٣) برقم (٧٤١٦)، ومسلم (٢/١١٣٦) برقم (١٤٩٩) واللفظ للبخاري.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٤٢).

ومارس النبي ﷺ هذه الدعوة لأهل الكتاب وغيرهم فقد أرســـل النبي ﷺ إلى ملك الروم والفرس والنجاشي، قال أنس –رضي الله عنه–: "**أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى**"(١)، وقد حفظت رسائله ﷺ في كتب السنة لكل عظيم قومه.

وكذا كل الأنبياء حاوروا أقوامهم، وســعوا لإقناعهم، وردهم إلى فطرتهم التي خلقهم الله عليها، واستعملوا الحوار وسيلة أساسية للدعوة إلى الله تعالى.

والدعوة إلى الله تُحصِّل مقاصد كثيرة لعل من أبرزها: توضيح صورة الإسلام الحقة، فقد نال الإسلام الكثير من الاتهامات كالتزمت والتشـــدد والانغلاق، وهضـــم حقوق المرأة والطفل...الخ، وبالحوار تظهر حقائق هذا الدين للآخر، وهذا ما كان يسـعى له النبي ﷺ، فقد كان مطلبه: خلو بيني وبين الناس، لأن الدعوة إلى الله تعالى كفيلة لبيان دعوته ﷺ للناس، فطاف على الوفود في الحج، وعرض نفســـه على القبائل، حتى ظفر بما أراد وتحققت مقاصد دعوته.

رابعاً: دفع الباطل.

ومن مقاصـد الحوار دفع الباطل، ورده، ودحض حججه، إذ لما كان الحق والوصـول إليه من مطالب المحاور المتجرد له والباحث عنه، كان لنقضـيه نقيض حكمه، فكلما كان المحاور طالبا للحق كان داحضـاً للباطل، قال تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [ســورة الأنفال: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [ســورة الأنبياء: ١٨]؛ ولذلك كان من أسماء الله سـبحانه وتعالى الحق، والذين يُعبدون من دونه هم الباطل، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [ســورة الحج: ٦٢]، وقال سـبحانه: ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾ [سـورة الشـورى: ٣٤]، وعلامة المؤمنين اتباع الحق، وعلامة الكافرين اتباع الباطل، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ [سورة محمد: ٣].

ومن دحض الباطل رد شـــبهات الكفار والمنافقين، وقد ورد في القرآن الكريم محاورات لكثير من الشبهات التي يوردها أهل الباطل سواء المنافقين أو الكفار، ومنها قول الله عز وجل: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [ســورة الفرقان: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [سورة الفرقان: ٣٣]، فترك الشبهات دون رد يشـكك المؤمن في إيمانه، ورد الشـبهات يكون بالحوار، فرد الفكر بالفكر، والقول بالقول، قال ابن كثير: "ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٩٧/٣) برقم (١٧٧٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠٩/٦).

خامساً: التعايش وعدم التصادم مع الآخر.

التعايش مع الآخر وعدم إلغائه حتى مع الاعتقاد بأن مذهبه باطل حقيقة في شرعنا، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [سورة هود:١١٨- ١١٩]، وليس للمسلم حساب وعقاب الآخر وإنما البيان وإقامة الحجة، ثم على الله -سبحانه وتعالى- الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ [سورة الرعد:٤٠].

والتعايش يكون بالوصول إلى النقاط المشتركة والدوافع التي تجعل هذا المجتمع قائماً، فلذلك عقد النبي ﷺ عهدًا مع اليهود في المدينة عندما قدم إليها، وعقد مثل هذا مع نصارى نجران، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، فالجدال والحوار يكون بالطيب واللين واللطف؛ حتى يحسن التعايش فيما بعد.

وعاش النبي ﷺ مع اليهود في المدينة، وعقد معهم عقدًا لحماية المدينة لولا غدرهم ومحاولتهم قتله ونقضهم لعهودهم، فلا يطلب الإسلام إدخال الناس في الدين رغما عنهم، وقد عاش المختلفون في العقيدة قرونا في ظل الدول الإسلامية ولم يشكوا ظلمًا ولا اضطهادًا ولا اعتداءً، مع كامل الحرية العقدية والدينية، وفي كنف الحماية من الدول الإسلامية المتعاقبة.

ومن نافلة القول أن أقول: إن هناك فرقاً بين التعايش والذوبان في الآخر، فالتعايش لا يعني الذوبان في الآخر، ولا يعني التنازل عن الثوابت، ولا يعني ترك المعتقدات، ولا يعني الانهزام النفسي والانبهار بالآخر، وتقليده، وتقديم الآخر على النفس، بل هو عيش الأطراف متعارفة لا متناكرة.

سادساً: التوصل لمكاسب تخدم المسلم والدعوة والدين.

قدمنا أنه ليس بالضرورة أن تكون نتيجة كل حوار اقتناع الطرف الآخر ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [سورة هود:١١٨- ١١٩]، ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة يونس: ٩٩]، فالحوار وسيلة للحصول على مكاسب تخدم الدعوة والدين والمسلم، وهذا ما فعله النبي ﷺ في صلح الحديبية، وفي وثيقة المدينة، ومع نصارى نجران، وفي معاهداته مع القبائل العربية، فبعد صلح الحديبية الذي أسماه الله فتحاً مبيناً؛ تفرغ النبي ﷺ للدعوة إلى الله تعالى؛ فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

قال الزهري: "فما فتح في الإسـلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر" ويعقب ابن هشام على قول الزهري فيقول: "والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف"(١).

المطلب الثاني: القيم الأساسية في المحاور.

تعرف القيم بأنها: "كل ما في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من هديٍ في السلوك والتفكير مما أثَّروا به على أنفسهم وعلى مجتمعهم وعلى أسرهم، ونمَّوْا بهذه القيم تفاعل المجتمع مع الواقع، وتحرك المجتمع نحو الإصلاح ترقية المجتمع أيضًا في مواجهة تغيرات الحياة والتفكير"(٢).

فالمحاور لابد أن يتحلى بقيم حتى يستطيع تحقيق المقاصد الشرعية في حواره، وبإمكاننا بيان أهم القيم التي يجب أن يتحلى بها المحاور، ومنها:

القيمة الأولى: متبع لما يقول.

لا بد أن يكون المحاور متبع لما يقول، وإلا فقد مصداقيته عند الطرف الآخر، ومن لا يتبع ما يقول لديه خلل منهجي في معرفته، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [سورة البقرة:٤٤]، فالناس لا تثق بمن لا يتبع كلامه أفعاله، وقد قال نبي الله شعيب عليه السلام لقومه: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [سورة هود: ٨٨].

القيمة الثانية: تارك للدد والخصومة والجدال المنهي عنه.

لا يكون المحاور لددًا خصومًا مجادلًا –الجدل المنهي عنه– وقد قال ﷺ: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"(٣)، واللدد والخصومة في الحوار تجعل الطرفان متنافران يبحثان عن الغلبة والصراع لا عن الحق والاتباع، وقد جبلت النفوس على عناد من يخاصمها ولا يتواضع ويتسامح معها؛ لذا أمر الله سبحانه وتعالى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لاستمالتهم إلى الحق وجعل نفوسهم مهيأة له.

القيمة الثالثة: لا يثير الطرف الآخر، ولا يغضبه، ولا يقدح في مقدساته ومسلماته.

فالمحاور يمنع نفسه من إثارة حفيظة الطرف الآخر، بل يحترمه ولا يقدح في مسلماته ومعتقداته، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨]،

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣٢١).

(٢) تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية (٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣١) برقم (٢٤٥٧)، ومسلم (٤/٢٠٥٤) برقم (٢٦٦٨).

فإثارة الطرف الآخر في الحوار، تبني جداراً تصدم فيه الثقة بين الطرفين، ويصبح الانتصار والثأر والعلو هو السائد على الحوار.

يقول الرازي: "وذلك لأن ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب والشتم لقابلوكم بمثله كما قال: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨]، ويزداد الغضب، وتتكامل النفرة، ويمتنع حصول المقصود، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثر في القلب تأثيرًا شديدًا"(١).

ويقول ابن كثير: "وقوله: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً**﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]، أي: إذا سفه عليهم الجهال بالسيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما"(٢).

القيمة الرابعة: استعمال الرفق واللين واليسر في الحوار واختيار التي هي أحسن.

استعمال الرفق واللين من الحكمة في الحوار، فالغلظة والزجر والنهر تبغض الطرفين، وتبعد الطرفين عن بعضهما؛ ولذلك أمر الله بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ولا تكون إلا بالرفق واللين والتسامح، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وعندما دل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام على اللين والرفق مع فرعون، بين طبيعة القول والذي يتجلى فيه هذا اللين قال له: ﴿**فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**﴾ [النازعات: ١٨]، وقال ﷺ: "من يحرم الرفق يحرم الخير"(٣)، وجاء في حديث الأعرابي الذي تكلم في الصلاة "فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"(٤).

وكان ﷺ يخاطب فيتلطف للمخاطب بلطيف العبارة، فقد جاء في الحديث استعماله بعض العبارات تلطفا كقوله: "كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت، قال أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، وإني لا أدرى ما دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ: إني ومعاذ حول هاتين"(٥) أو قال: "حولها ندندن"(٦)، فمجمل الخطاب فيه من اللطف واللين ما فيه، ولكن استخدامه للسائل "يا ابن اخي" فيه مزيد تلطف وتقرب وتودد وتسامح.

---

(١) تفسير الرازي (٢٠/٣٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠٣) برقم (٢٥٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨١) برقم (٥٣٧).

(٥) سنن أبي داود (١/٢٩٢) برقم (٧٩٣).

(٦) سنن أبي دواد (١/٢٩٢) برقم (٧٩٢).

ومن هذا الباب كذلك ما جاء عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: "إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبا"، قال: فجلس قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا، والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا، والله يا رسول الله -جعلني الله فداءك- قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"... حتى قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه"، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"(١).

ولتأكيد هذه القيمة في الحوار يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قول الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، "فطلب الجدال بالتي هي أحسن، ولم يقل بالحَسنة كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة"(٢).

القيمة الخامسة: أن ينزل الناس منازلهم فلا يستنقص منهم ولا يستهين بهم.

إذ كيف يرجو استجابتهم وهو يهينهم ويستنقص منهم، وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم"(٣)، ومما فعله ﷺ في هذا الباب تكنيته لخصمه بقوله: "يا أبا الوليد"(٤)، ومخاطبته ﷺ لكبراء قومهم بقوله إلى عظيم الروم "بسم الله الرحمن الرحيم،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٥/٣٦) برقم (٢٢٢١١).

(٢) الرد على المنطقيين (٤٦٨).

(٣) مقدمة صحيح مسلم للنووي (٦/١).

(٤) هو عتبة بن ربيعة وكان سيدا في قومه، "قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك فلما فرغ عتبة، قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل فقال رسول الله ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [سورة فصلت:١، ٢]" فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ "قال: سمعت، قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ" وفي زيادة أخرى حتى بلغ "فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ [سورة فصلت: ١٣] فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب" الاعتقاد للبيهقي (٢٦٧، ٢٦٨) وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٣٩٩/١٢).

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم"[١]، قال النووي: "ولم يقل: إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: "عظيم الروم"، أي: الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام"[٢]، وهكذا فعل مع عظيم الفرس وملك الحبشة...، وكذا فعله مع من كان يرجوا إسلامه، فقد روت كتب السنة أن المغيرة بن شعبة قال: "إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني كنت أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله ﷺ، فقال له: "يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله"[٣]، فبرغم عدائه الشديد فإن النبي ﷺ أنزله منزلته وكناه وناداه بأحب ما ينادى به، فاستحقار الخصم والتكبر عليه سد منيع أمام استجابته، فإن النفوس تأبى الاستجابة لمن يتكبر عليها ويتعالى.

القيمة السادسة: أن يقر للحق عندما يتبين له.

وهذا يجعل المحاور أمام سلوك عملي لقصد الحق، وطلبه وعدم تقديم الرأي عليه، فينبذ التعصب، ويكون مهيئاً لقبول الحق من خصمه، وقد مثل النبي ﷺ هذا بمثال عملي ليعلمنا كيف تكون الاستجابة للحق، ففي الحديث: "أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون، قال: "سبحان الله، وما ذاك؟"، قال: تقولون إذا حلفتم والكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا ثم قال: "إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة"[٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس مما أمر الله به ورسوله، ولا مما يرتضيه عاقل، أن تقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء، وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم، إذ هم -ولله الحمد- أكمل الناس عقلاً وأتمهم إدراكاً وأصحهم ديناً، وأشرفهم كتاباً، وأفضلهم نبياً، وأحسنهم شريعة"[٥].

القيمة السابعة: عدم الثأر للنفس وضبطها.

المتسامح في الحوار لا ينظر لغير الهدف الرئيس في الحوار، وهو عرض الفكرة، ومحاولة استمالة الطرف الآخر للاقتناع بها، وأما الانتقام لشخصه والثأر لها، والانحراف عن الهدف فليس من مقاصد الحوار في شيء، وقد جاء عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- "قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٤٥) برقم (٢٩٤١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٠٨)..

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٦٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥/٤٣) برقم (٢٧٠٩٣).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٩/٢٠٧).

ﷺ: "مهلا يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله" فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: "فقد قلت: وعليكم"[١].

وفي حديث ثوبان "كنت قائما عن رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: "إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: "أينفعك شيء إن حدثتك؟"، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل، ... -فسأله اليهودي عن مسائل وأجابه النبي ﷺ -فقال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب"[٢]، فلو أن النبي ﷺ انتصر لنفسه وثأر لها لفاته قيام الحجة على هذا اليهودي.

ولقد قال قوم نوح لنبيهم: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأعراف: ٦١]، وقال قوم عاد لنبيهم: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأعراف: ٦٧]، فانصرف كل نبي للرد على الدعوى دون انتقام للنفس.

القيمة الثامنة: الانصات والسماع منه وفهم مراده.

الانصات للطرف الآخر فيه احترام وتوقير وتفهم، ويعطيه الشعور بتوصيل الفكرة والاهتمام بها، ولا يستطيع المحاور أن يرد على الفكرة دون سماعها واستيعابها، ومعرفة ما ينقضها، فلا يليق بالمحاور قمع خصمه أو عدم إتاحة الفرصة له لبيان اعتقاده، وما يريده ويصبو إليه، ولهذا سمع النبي ﷺ من أبي الوليد حتى فرغ، وقال له "أفرغت يا أبا الوليد.."[٣].

والقرآن عندما طلب من الخصم تقديم الدليل والبرهان، كان لغرض الاستماع له ومعرفته، وابداء النظر حياله، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [سورتي البقرة والنمل: ١١١، ٦٤]، ثم يكون الرد عليها ببيان بطلانها، وهذا سبب التعقيب بقوله تعالى إن كنتم صادقين، فالطعن في دليل الخصم ورده ودفعه وبيان بطلانه لا يكون إلا بعد سماعه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧/٨) برقم (٦٢٥٦) ومسلم (١٧٠٦/٤) برقم (٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٢/١) برقم (٣١٥).

(٣) سبق تخريجه.

القيمة التاسعة: التسلح بالعلم والتدرج في الاحتجاج.

العلم هو الركن الركين في الحوار، فمن لا يعلم لا يتكلم ناهيك أن يحاور، لذلك نهت الشريعة الإسلامية الكلام بغير علم في آيات كثيرة، فالمحاور لا بد أن يكون عالماً بموضوع الحوار، ثم يتدرج فيه حتى يوصل محاوره لقناعاته، أما العلم في الحوار فقد عاب الله سبحانه وتعالى عن الذين يتبعون بغير علم فقال سبحانه: ﴿**سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ(١٤٨) قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ**﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ**﴾ [سورة الأنعام:١١٦]، فذم الذين يتبعون الظن وهم لا يعلمون، وقال أيضًا: ﴿**أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ**﴾ [سورة يونس: ٦٦].

ثم بعد التسلح بالعلم يجب عليه أن يتدرج في الاحتجاج، وينقل المحاور من مرحلة لمرحلة أخرى، وعليه ألا يغرب في كلامه، ولا يبدأ بالمقدمات البعيدة، بل يبدأ من المتفق عليه ليصل للمختلف فيه، ويتكلم بالكلام البسيط القريب فهمه، ومثاله صنيع نبي الله إبراهيم عليه السلام –وسيأتي معنا– حين تدرج مع قومه في بحثه عن الإله الحق، فبدأ بالكوكب ثم القمر ثم الشمس، وبين عيوبها، ثم وصل إلى أن من يستحق العبادة ليس هؤلاء بل إن عبادة هذه شرك يجب البراءة منها ﴿**قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة الأنعام: ٧٩]، ولم يكن هذا شك منه في الإله الخالق –حاشا نبي الله عليه السلام – وإنما كانت اتباعا للتدرج في بيان الحجة، فقد قال لهم تعالوا لنختبر ما تعبدون فهذا الكوكب معيب، وهذا القمر معيب، وهذه الشمس معيبة، وكل هؤلاء لا يستحقون العبادة، وأنا أبرأ منهم، وسأوجه وجهي لمن يستحق العبادة، وهو الذي خلق السموات والأرض، ولن أكون من المشركين.

لذلك قالت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا"(١).

(١) أخرجه البخاري (٤/١٩١٠) برقم (٤٧٠٧).

المبحث الثالث: مقاصد الحوار في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

في هذا المبحث سأتكلم عن مقاصد الحوار في حوار نبي الله إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم، واستثنيت حوار نبي الله إبراهيم مع الله –سبحانه وتعالى– بشأن إحياء الموتى، وحواره مع الملائكة بشأن عذاب قوم لوط عليه السلام، فليس في الصورتين إلا حوارًا من أجل الوصول إلى الحق، وسأتناول بقية الحوارات بحسب المتحاور معه على النحو الآتي:

نبي الله إبراهيم صاحب حجة وحوار وهمة.

نبي الله إبراهيم عليه السلام صاحب حوار وحجة، وقد رفعه الله بهذه الحجة، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، وصاحب حوار فقد تحاور مع الله سبحانه وتعالى، وتحاور مع الملائكة، وتحاور مع ولده، وتحاور مع أبيه، وتحاور مع قومه، وتحاور مع النمرود، وقد كان متسامحًا في حواره متخلقًا بأعلى الأخلاق وأكملها كيف لا؟ والله –سبحانه– يصفه فيقول: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [سورة التوبة: ١١٤]، وقال: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾ [سورة هود: ٧٥]، يقول الطبري: "إن إبراهيم لبطيء الغضب، متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره منيب، رَجَّاع إلى طاعته"(١)، وأما همته فقد كان لوحده أمه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة النحل: ١٢٠– ١٢٢]، ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقتدي به، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة النحل: ١٢٣]، وقال: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

أولًا: حوار نبي الله إبراهيم في القرآن الكريم مع ولده.

سأل نبي الله إبراهيم ربه أن يرزقه الولد الصالح فقال: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [سورة الصافات: ١٠٠]، فبشره الله تعالى بغلام يحمل صفة أبيه، وهي صفة الحلم ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [سورة الصافات: ١٠١]، وكأي أب فرح بولده الذي جاء بعد تشوق، وتشوف، وتوسل، ودعاء ثم إجابة من الله تعالى، فربى هذا الولد على عين والده رضيعاً وهو يشاهد كبره يوماً فيوم وساعة فساعة، حتى إذا بلغ السن الذي يريده وهو سن العمل، سن السعي ليعتمد عليه في شؤونه، وليكون عكازه في حياته، فعن ابن عباس، "قولِهِ ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾ يقول: العمل"(٢).

---

(١) تفسير الطبري (١٥/٤٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢١/٧٢ –٧٥).

جاء الأمر من الله سبحانه وتعالى بذبح هذا الولد، وكان هذا اختبارًا صعبًا؛ إذ فيه مفارقة للولد الذي مات قلب الأب شـوقًا إليه، وفيه إنهاء حياته بالذبح وهي ميتة شـنيعة، وأن يكون الذبح بيد المحب، فتراكمت هذه الاختبارات على خليل الله عليه السلام، فحاور ولده في هذا الابتلاء النازل عليهما، فالولد شـريك أبيه في الابتلاء فقال له: ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [سـورة الصافات: ١٠٢]، أما سبب الحوار فلعل نبي الله إبراهيم –عليه السلام– كان يعلم من ولده الامتثال، فلم يكن يريد أن يحرمه الأجر، فمن قرة العين أن يرى الوالد ولده على خلقه وسجيته، ولما كان الولد كأبيه في الحلم رجى إبراهيم –عليه السلام– أن يكون كأبيه صبرًا واحتسابًا وقصدًا وغايةً، وكان كذلك، فتوجها إلى ربهما قاصدين رضاه، وفي هذا الحوار قيمة من قيم الحوار وهي سماع ما لدى الطرف الآخر فقال له: انظر ماذا ترى، فزاده ثباتًا وصبرًا ويقينًا، يقول المفسرون: أنه قال له: أوف بنذرك.

قال القرطبي: "وفي الخبر: إن الذبيح قال لإبراهيم عليه السـلام حين أراد ذبحه: يا أبت اشـدد رباطي حتى لا أضـطرب، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شي من دمي فتراه أمي فتحزن، وأسـرع مر السـكين على حلقي ليكون الموت أهون علي واقذفني للوجه، لئلا تنظر إلى وجهي فترحمني، ولئلا أنظر إلى الشـفرة فأجزع، وإذا أتيت إلى أمي فأقرئها مني السلام"(١).

فنبي الله إبراهيم يعلم أن الأمر حق، وأنه لا شك ملبيه، ولكن أراد أن يسمع من هذا الولد الذي لتوه بلغ السعي، وهذا من التنازل واستعمال الرفق واللين واليسر، هذا هو مجمل ما فيه القصة مما نحن بصدده، وبقية القصة معلومة ومذكورة في كتب التفسير وشرح الحديث(٢).

ثانيًا: حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

تحاور نبي الله إبراهيم عليه السـلام مع أبيه وقومه من خلال آيات متفرقة في القرآن الكريم، فذكر الله حوار نبي الله إبراهيم مع أبيه وقومه في سـور الأنعام ومريم والأنبياء والشـعراء والصـافات والممتحنة وسأستعرضها بحسب ترتيب المصحف الشريف.

أ– حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في سورة الأنعام.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّـمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا**

(١) تفسير القرطبي (١٥/٩٨ – ١٠٩).

(٢) للاستزادة ينظر: تفسير الطبري (٢١/٧٢ –٧٥)، وتفسير القرطبي (١٥/٩٨ – ١٠٩).

رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤-٧٩].

جاهد نبي الله إبراهيم لتحقيق مقاصد: الوصول بقومه للإله الحق، وإقامة الحجة عليهم، والدعوة إلى الله الخالق المستحق للعبادة، ولدفع باطل ما يعتقدونه، وتدرج معهم في الاستدلال وهذه قيمة من قيم الحوار كما مر معنا، فبدأ بتفنيد ادعاءهم بالخطوة الأولى، وهي فرض أن الكوكب هو الإله، والثانية فرض أن القمر هو الإله، والثالثة فرض أن الشمس هو الإله، وقبل الانتقال من مرحلة لأخرى يبين لهم وجه بطلان الادعاء، ثم صرح لهم بأنه يبرأ إلى الله تعالى من كل هذه الادعاءات، وأنه موحد لله رب العالمين، وهنا لفتة لطيفة وهي سبب احتجاج الله على مشركي العرب بقصة نبي الله إبراهيم "قال القشيري: ذكر في الاحتجاج على المشركين قصة إبراهيم ورده على أبيه في عبادة الأصنام، وأولى الناس باتباع إبراهيم العرب، فإنهم ذريته"(١).

ويظهر التدرج في الاحتجاج لأنه كان يعلم أن ربه ليس بالكوكب ولا النجم ولا القمر ولا الشمس و"إنما قال: "هذا ربي" لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم، فلما أفل النجم قرر الحجة، وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون ربًا، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها"(٢).

ويظهر في الحوار كذلك التنازل والتسامح للطرف الآخر من الحوار، والحرص على الحق، والتسليم لاتباعه، فنبي الله إبراهيم افترض صدق آلهتهم قبل أن يفندها، وهذا يعطي للآخر انطباع الامتثال، ويخرجه من دائرة التعصب، إلى دائرة إعمال الحق والعقل والمنطق والدليل.

يقول الفخر الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه"(٣).

وقال أيضاً: "أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه، ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعدًا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئنا بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله"(٤).

(١) تفسير القرطبي (٧/٢٣).
(٢) تفسير القرطبي (٧/٢٦).
(٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (١٣/٤٠).
(٤) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (١٣/٤١).

ويقول ابن القيم في المدارج: "إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق، ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصًا آفلا، فإن المعبود الحق: لا يجوز أن يغيب عن عابديه وخلقه ويأفل عنهم، فإن ذلك مناف لربوبيته لهم..."(١).

وكذا تظهر قيمة من قيم الحوار وهي عدم استفزاز الآخر فلم يزد على وصف آلهتهم بكونها آفلة وهذا وصف حقيقة لا يغضب الطرف الآخر، بل وصف لا بد منه لبيان حقيقة الشيء.

وكذا يظهر اللين واليسر والتقرب والتودد في قوله: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة الانعام: ٨٠]، فيظهر التسامح في استخدام عبارات لينة سهلة مع قومه دون تسفيه لهم أو تجريح.

ب- حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم.

قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [سورة مريم: ٤١- ٤٨].

وهذا الحوار خالص مع أبيه، ويظهر فيه مقصد طلب الوصول إلى الحق، وحرصه على والده، وإقامة الحجة عليه، ودعوته إلى عبادة الله تعالى، ودفع الباطل، والحرص على أن يخرج بأبيه من اتباع الشيطان إلى اتباع الله تعالى، وفيه من القيم التودد والتحبب واللين والرفق، فقد نسب نفسه لأبيه، وفيه تحقيق لكل ما سبق ونفي للكبر على أبيه، ويظهر كذلك حرصه على ما ينفع أبيه، وخوفه على أبيه من العذاب، ﴿**يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ**﴾، وبعد كل هذا يظهر ورفض أبيه قال: ﴿**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ**﴾، ثم قال له أنه سيواصل الاستغفار له علَّ الله أن يلين قلبه فقال: ﴿**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾(٢)، ففيه صورة من صور التعايش معه وقبوله وعدم الاعتداء عليه مع الاعتقاد ببطلان ما هو عليه.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٦٣).

(٢) وكان هذا الاستغفار بسبب الموعدة التي وعدها الأب لإبراهيم ثم لما تبين له غير ذلك ترك الاستغفار له قال تعالى: "**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)**" [سورة التوبة: ١١٤].

ت- حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في سورة الأنبياء.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**﴾ [سورة الأنبياء: ٥١ - ٧٠].

يظهر في هذا الحوار تحقيق لمقصد إظهار الحق وطلب الوصول إليه، وإقامة الحجة على أبيه وقومه، ودعوتهم لعبادة الله تعالى، ودفع الباطل والرد عليه، وتظهر من القيم تجنب إبراهيم -عليه السلام- الثأر لنفسه، وضبط نفسه، والتركيز على الهدف من الحوار وهو وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وبطلان ما عداه، ويظهر هذا في تجنبه الرد عليهم عندما قدحوا فيه واتهموه باللعب ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**﴾، وحاولوا أن يستنقصوا منه حتى عند تسميته ﴿**يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾، ولكنه -عليه السلام- لم يلتفت لاتهامه باللعب، ولا لمحاولة استنقاصه، وإنما رجع إلى موضوع النقاش، وهو الوحدانية ومن يستحق العبادة ﴿**قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾.

ويظهر تدرجه في مناقشتهم، ونقلهم من المتفق عليه إلى المختلف فيه، فعندما قالوا له ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ**﴾ نقلهم من المتفق عليه، وهو أن هذه الأصنام لا تنطق ﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾، ونقلهم إلى أن من لا ينطق لا ينفع، فهناك مقدمات محذوفة لبداهتها، فاستخدم معهم القياس المنطقي، فكأنه قال لهم نتفق أن هذه الأصنام لا تنطق ونتفق أن كل ما لا ينطق لا ينفع، فتكون النتيجة: أن هذه الأصنام لا تنفع.

فقامت الحجة عليهم بهذا القياس المنطقي ولم يستطيعوا عنه فكاكا ﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**﴾ وبعد أن قامت عليهم الحجة لم يجدوا فكاكا، فقالوا مقالة المتكبر المستبد الرافض للحق القائم بين يديه ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾، ثم نجاه الله بمعجزة خالدة، ونصره على قومه، وجعل نارهم بردًا وسلامًا عليه، وأغدق عليه نعمه ورزقه من البنين والأحفاد ورزقهم فعل الخيرات.

ث- حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في سورة الشعراء.

قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [سورة الشعراء: ٦٩ - ٨٢].

يظهر في هذا الحوار تحقيق مقصد الوصول إلى الحق وإقامة الحجة على أبيه وقومه، ودعوتهم لعبادة الله تعالى، ورد باطلهم وتفنيد حججهم، ويظهر من القيم تدرجه -عليه السلام- معهم في النقاش، فقد بين لهم أن من لا يسمع الدعاء، ولا ينفع ولا يضر لا يستحق العبادة، وهذا قياس منطقي محذوف إحدى مقدماته، وتمامه: المقدمة الأولى: هؤلاء اللواتي تعبدونها لا تسمع الدعاء ولا تنفع ولا تضر، والمقدمة الثانية: من لا يسمع الدعاء ولا ينفع ولا يضر لا يستحق العبادة، والنتيجة: هؤلاء اللواتي تعبدونها لا تستحق العبادة.

ولكن لفقدانهم الحجة لم يجدوا ما يتعلقوا به إلا اتباع الآباء والأجداد ﴿**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ فانصرف عنهم وتركهم بعد قيام الحجة عليهم وتبرأ منهم، ﴿**قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾.

وفي هذا الحوار دعوة لطيفة لعبادة الله تعالى فقد قام نبي الله إبراهيم بإغرائهم بمزايا القول الذي يحمله فبعد أن بين لهم بطلان استحقاق آلهتهم التي يدعون للعبادة، وقامت عليهم الحجة لم يتركهم وإنما بين لهم الصفات التي تغري كل عبد في الإله الذي يعبده إبراهيم -عليه السلام-، فعدد لهم صفاته بأنه هو الخالق المطعم الساقي الشافي المميت المحيي الغافر المستجيب لدعاء عباده، والذي يدخل الجنة ويقيل العثرات ويغفر الزلات، وهذه الصفات مفقودة في آلهتكم.

ج- حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في سورة الصافات.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**﴾ [سورة الصافات: ٨٣ - ٩٨].

يظهر مقصد الوصول إلى الحق، وإقامة الحجة على أبيه وقومه، ودعوتهم لعبادة رب العالمين، ورد باطلهم وتفنيد حججهم، ويظهر من القيم التدرج في حواره معهم، واستخدام المنطق والعقل كما سبق بيانه في سورتي الشعراء والأنبياء، فقد استخدم معهم قياساً منطقياً محذوفة إحدى مقدماته، ونقلهم من المتفق عليه إلى موطن النزاع المختلف فيه؛ إذ استدل عليهم بأن من تصنعه بيدك ضعيف مخلوق لا يستطيع أن يَخلق (وهذه مقدمة متفق عليها)، ولا يستحق العبادة (وهذه نتيجة مختلف فيها)، وأصل هذا الاحتجاج: مقدمة أولى: هذه الأصنام مخلوقة، المقدمة الثانية: من يُخلق لا يستحق العبادة، ونتيجته: هذه الأصنام لا تستحق العبادة، وبهذا قامت عليهم الحجة، ولكنهم كما حكى الله عنهم في سورة الأنبياء أصروا على طغيانهم وضلالهم وعاندوا، بل أرادوا معاقبة صاحب الحق بسبب الحق الذي أقامه وهذا من الطغيان المبين، ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾، ولكن الله حفظه ورعاه وأنجاه منهم قال تعالى: ﴿**فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**﴾.

ح- حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في سورة الممتحنة.

قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤)**﴾ [سورة الممتحنة:٤].

يظهر في هذا الحوار تحقيق البراءة من الباطل، وبيان الحق، ودعوة إبراهيم عليه السلام قومه للإيمان بالله تعالى، مع قيم التسامح واللين الذي أظهره نبي الله إبراهيم -عليه السلام- لأبيه، وحرصه على ما ينفعه بقوله ﴿**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**﴾، وهذه الجملة فيها من اللين والحرص والحب والتسامح الشيء الكثير، ولكنها لم تصادف موقعاً، فأصر الأب على كفره، وكف إبراهيم عن الاستغفار.

ثالثًا: حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

روت كتب التفسير أن هذا الذي حاوره نبي الله إبراهيم –عليه السلام– هو النمرود بن كنعان، وذكروا أنه كان ملك المشرق في حينها[١]، ويظهر في هذا الحوار تحقيق مقصد طلب الحق، وإقامة الحجة على النمرود، ودفع الباطل الذي يعتقده، ودعوته لعبادة الله الذي يتحكم في هذا الكون، وتظهر قيمة التسامح والتنازل في الحوار، فقد كان هذا الملك يدعي الألوهية، فعندما قال: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾، قال النمرود: ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾، قال: أنا أفعل ذلك، فأستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له، وأقتل آخر، فيكون ذلك مني إماتة له[٢].

وكانت الحجة لإبراهيم –عليه السلام– فالإحياء والإماتة اللذان احتج بهما نبي الله إبراهيم هو الإحياء من العدم وهو الخلق، والإماتة بعد الخلق بقبض الروح، بخلاف الإحياء الذي احتج به النمرود وهو ترك المذنب المستوجب القتل، وقتل البريء الذي لا يستحق القتل، ولكن تنازل نبي الله إبراهيم، حتى لا يدخل معه في لدد وجدال، واستدل بما لم يحر عنه جواباً، وبهته، فقال: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

وجواب النمرود هو من قبيل التشغيب وليس من الاستدلال فهو يستدل بما لم يحرر معه المناط، فيستدل بما يستطيعه كل ملك، ويقيسه على ما لا يستطيعه إلا الله، ووجه التسامح والتنازل من نبي الله إبراهيم هو ترك المسألة وليس التسليم لها.

قال السمعاني: "فإن قال قائل: لم انتقل إبراهيم من حجة إلى حجة، وهذا يكون عجزا؟ قيل: كانت الحجة الأولى لازمة، ومعارضة نمرود إياه كانت فاسدة؛ لأنه أراد به الحياة والموت اختراعًا، ولم يعارضه بمثله لكنه خاف أن يشتبه على السامعين، فأتى بحجة أوضح من الأولى؛ مبالغة في الإلزام، وقطعا لشغب"[٣].

وقال البيضاوي: "أعرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعاً للمشاغبة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره، لا عن حجة إلى أخرى، ولعل نمرود زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم بذلك"[٤]، وهذا فيه تنازل وتسامح كما قدمنا، والله أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٤٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥/٤٣٢).

(٣) تفسير السمعاني (١/٢٦٢).

(٤) تفسير البيضاوي (١/١٥٥).

النتائج والتوصيات.

وفي ختام هذا البحث هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها:

- الحوار لقاء بين طرفين مختلفين في موضـــوع معين ويتردد الكلام بينهما ليبدي كل واحد منهما رأيه بتكافؤ دون تعصب ولا تهجم وله آداب وشروط وموانع.
- شرع الحوار لتحقيق مقاصد شرعية منها: الوصول إلى الحق، وإقامة الحجة على الناس، والدعوة إلى الله سـبحانه وتعالى، ودفع الباطل، والتعايش وعدم التصـادم مع الآخر، والتوصـل لمكاسـب تخدم الدعوة والدين والمسلم.
- هناك قيم يجب أن يتحلى بها المحاور منها: أن يتبع ما يقول، ويترك اللدد والخصــــومة والجدال المنهي عنه، ولا يثير المحاور، ولا يغضبه، ولا يقدح في مقدساته، ومسلماته، ويستعمل الرفق واللين واليسر في الحوار، وينزل الناس منازلهم، ولا يســتنقص منهم، ولا يســتهين بهم، ويقر للحق إذا تبين له، ولا يثأر لنفسـه، ويضـبط نفسـه، ويجعل نصـب عينيه الوصـول للحق دون النظر إلى اسـتفزازات المحاور، وأن ينصـت للطرف الآخر، ويسـمع منه ويفهم مراده ومطلبه، وأن يتسـلح بالعلم ويتدرج في الاحتجاج مع الطرف الآخر.
- ظهرت مقاصد الشريعة في الحوار في حوار نبي الله إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وابنه وقومه والنمرود: فقد كان حريصًـا على الوصـول للحق، وإقامة الأدلة عليه، وحرص على إقامة الحجة على قومه، وقام بواجب الدعوة إلى الله –سـبحانه وتعالى–، ودفع الباطل الذي حاولوا أن يلبســوا فيه على الحق، ورد الشبهات، وحاول لفترة أن يتعايش معهم ليتقبلوه في مجتمعهم.
- ظهرت كذلك قيم المحاور في حوار نبي الله إبراهيم عليه السـلام مع أبيه وابنه وقومه والنمرود: فقد تدرج في الاســـتدلال، واســـتدل لهم بالعلم والعقل والمنطق واســـتخدم معهم الحجج القاطعة، وترك اللدد والخصـومة والثأر لنفسـه في أكثر من موطن، واسـتعمل الرفق واللين مع قومه وأبيه، وأنزل أباه في منزلته ولم يســـتنقص من قومه أو يقدح في آلهتهم، وبين لهم أن الحق هو مبتغاه وهدفه ومقصـــده، وسمع حججهم ولم يقاطعهم كل هذا مع تلطف وتساهل في الكلام.

التوصيات:

- أوصي بمزيد بحث في حوارات الأنبياء في القرآن الكريم وتطبيق مقاصد الشريعة عليها.
- أوصي بتبني قيم الحوار وعدم الإغراق في اللدد والخصومة والثأر للنفس.
- كما أوصـي بدراسـة موسـعة للمقاصـد الشـرعية في الحوار وبتطبيق أوسـع من خلال نصـوص الكتاب والسنة والسيرة النبوية وحوارات الأنبياء.

المراجع:

القرآن الكريم.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (١٤٠٩)، **مصنف ابن أبي شيبة**، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، تحقيق كمال يوسف الحوت.

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **الرد على المنطقيين**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (١٤١١)، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن(١٩٨٧م)، **جمهرة اللغة**، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١.

ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة لابن عاشور**، تحقيق: محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (١٤٢٢) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (١٤١٦)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء (١٤٠١) **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (١٣٧٥هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢.

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (١٤٣٠)، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١.

أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١.

آل الشيخ، صالح، **تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية**، بدون معلومات.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٤٠٧هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – لبنان، ط٣.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (١٤١٨)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (١٤٠١)، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (١٤٠٥)، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

الخادمي، نور الدين بن مختار، **علم المقاصد الشرعية**، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ.

خالد بن محمد المغامسي، **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية**، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ)، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (١٤١٨هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١

الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، **المحيط في اللغة**.

الطبري، محمد بن جرير (١٤٠٥) **تفسير الطبري**، دار الفكر، بيروت لبنان.

عبدالرحمن النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، ط٢، دمشق: دار الفكر.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (١٤٢٠)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.



الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي أو الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب، القاهرة.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي (١٤٠١هـ) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥.

مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (١٤٠٠)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط٢.

مطيع الله الحربي، **الحوار والتعايش الإنساني في ضوء الخطاب الإنساني**، ورقة بحث مقدمة لمؤتمر مكة المكرمة الخامس، رابطة العالم الإسلامي.

المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (١٤١٥)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١.

النووي، يحي بن شرف (١٣٩٢)، **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

يحي زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**.